

مناهل العرفان في علوم القرآن

خبیثة ولقد علمت قریش أكثر من غیرهم طهارة النفس المحمدية وسموها ونبلها إذ كانوا أعلم الناس به وأعرفهم بحسن سيرته وسلوكه وقد نشأ فيه وشب وشاب بينهم هذا إلى أن القرآن كله ما هو إلا دعوة طيبة لأهداف طيبة لا محل فيها إلى خبث ورجس بل هي تحارب السحر وخبثه ورجسه وتسمه بأنه كفر إذ قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكین ببال هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى یقولوا إنما نحن فتنه فلا تکفر . ثم إن السحر معروف المقدمات والوسائل فلیس بمعجز ولا يمكنه ولن يمكنه أن یأتي فی يوم من الأيام بمثل هذا الذي جاء به القرآن .

عن ابن عباس Bهما أن الولید بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فلما قرأ علیه القرآن كأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال له يا عم إن قومك یريدون أن یجمعوا لك ما لا لیعطوكه فإنك أتیت محمدا لتعرض لما قبله بكسر القاف وفتح الباء قال الولید لقد علمت قریش أني من أكثرها ما لا قال فقل فيه قولا یبلغ قومك أنك منكر له وکاره قال وماذا أقول فواﷻ ما فيكم من رجل أعلم مني بالشعر لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن واهﷻ ما يشبه الذي یقوله شیئا من هذا وواهﷻ إن له لحلاوة وإن علیه لطلاوة وإنه لمنیر أعلاه مشرق أسفله وإنه لیعلو ولا یعلو وإنه لیحطم ما تحته قال أبو جهل للولید لا یرضی عنك قومك حتى تقول فيه فقال الولید دعني أفكر فلما فكر قال هذا سحر یأثره عن غیره وفي ذلك نزل قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له ما لا ممدودا وبنین شهودا ومهدت له تمهيدا ثم یطمع أن أزید كلا إنه كان لآیاتنا عنیدا سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل کیف قدر ثم قتل کیف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستکبر فقال إن هذا إلا سحر یؤثر إن هذا إلا قول البشر رواه الحاکم وقال صحیح علی شرط البخاري فانظر إلى الرجل حين أرسل نفسه علی سجيتها العربية وبديتها الفطرية کیف أنصف فی حکمه حين تجرد ساعة من عناده وكفره وقال واهﷻ ما يشبه الذي یقوله شیئا من هذا إلى أن قال وإنه لیحطم ما تحته ثم انظر إلى الرجل حين غلبت علیه شقوته وعأوده عناده وتعصبه کیف قاوم فطرته وأکره نفسه علی مخالفة شعوره ووجدانه وقال ما قال بعد أن حار وذهب كل مذهب فی ضلاله وحيرته علی نحو ما یصور القرآن تلك الحيرة والمقاومة والاستکراه بقوله إنه فكر وقدر الخ نسأل الله الحماية والهداية بمنه وكرمه آمین . ونريد بجمال القرآن اللغوي تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن فی رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس فی كلامهم وبيان ذلك